الدستور
من تيلي لوميار

هل يكون مؤتمر باريس
حبل الإنقاذ
(ص 2)

الآباتي بولس نعمان
والحضور الكبير
(ص 6)

العدد 18 | أسبوعيّة | سياسيّة | جامعة | الأحد 20 أيلول 2026 | 8 صفحات

المعاناة... وحضارة الحياة

مع «ارتفاع الصليب» الذي احتفل به مسيحيو العالم مطلع هذا الأسبوع، ترتفع أنظارنا إلى جبالنا والقمم، حيث لا يزال المصلوب معلّقًا، من تلة الجلجلة إلى هضاب جبل عامل، ومن جبل الريحان، الى جبل الشيخ وأعالي حرمون، حتى سائر جبال لبنان التي تتعانق في أوجاعها، وتتوحّد في معاناتها، بانتظار الأحد الكبير.

ولئن كُتبَ لهذه الأرض المقدسة أن تتألّق قداستها بالآلام في زمن الصليب، وبالشهادة الحقّة لأيام كربلاء، فإنما أُريد لها أيضًا أن تعكس، في مآسيها، رجاء شعوبها وتطلّعاتهم، في خضمّ الغياب الفادح والفاضح لمبادرات الأمم، الأسيرة للسياسات والحسابات، والقابعة خلف بعض عبارات الشجب والاستنكار.

في مواجهة هذا المشهد الموجع، تتواصل حركة مكوكية حميدة للمسؤولين في الدولة، وفي طليعتهم رئيس البلاد، بغية إيقاظ الضمائر، وتصويب المواقف، والتذكير بأن للمواطن حقوقًا طبيعية ووضعية، وللأوطان سيادة وحصانة، ولمجتمعاتها حرمات وحريات.

ومن المسلّمات ان القوة، مهما تجبّرت، لن تستطيع اختراق حصون الإنسانية السامية، وأن الغطرسة، مهما استبدّت، لن تتمكّن من إبادة شعب، أو إزالة تراث، أو محو حضارة.

أما نحن، فعلى ضعفنا تجاه وحشيّة المعتدين، نبقى أقوياء في التشبث بمبادئنا، وفي التمسك بالتوجّهات التي تحكم وجودنا: تؤكّدها دولتنا، وتعزّزها وحدتنا، وتترجمها فينا إرادة الحياة، وشعلتها الدائمة الاتقاد.

فهذه الحياة التي آلت إلينا هبةً من خالقها، نحن مؤتمنون على وديعتها، وضنينون بحمايتها، ومسؤولون عن صونها، وممنوعون من الاستخفاف بقيمتها، أو المقامرة بقِيَمها، في مغامرات متهوّرة تتجاوز أعتاب الحكمة والإدراك.

من هنا يتجلّى، في المعتقد المسيحي، معنى الحياة الطالعة من قلب المعاناة، ودور الصليب الذي يقود إليها. فالصليب، كما يقول الرسول بولس، «عند الهالكين جهالة، أمّا عندنا نحن المخلَّصين فهو قوة الله» (١ كور ١: ١٨). وهذه «القوة» ليست قوة الموت والدمار، بل قوة تُفضي إلى حياة أفضل، أرادها لنا الرب بقوله: «جئتُ لتكون لهم الحياة وتكون وافرة» (يو ١٠: ١٠).

وليس الإسلام، في جوهره ورسالته، بعيدًا عن هذا المنحى، إذ يبرز قيمة الحياة وضرورة عمارتها، وقد جاء في سورة القصص: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...» (الآية ٧٧).

ويختصر الإمام علي أهمية اغتنام الحياة وصون العمر بقوله: «إنَّ المغبونَ مَن غَبَنَ عُمْرَه...» (غرر الحكم، ٣٥٠٢).

فالحياة إنما تُعاش، والإنسان وُلد للحياة لا للموت. وفي حب الحياة واحترامها تربية على حب الوطن، وعلى المواطنة الصادقة، وعلى الالتزام بممارستها كاملة، بالفرح الذي توفّره، وبالسلام الذي يظللها، وبالسعادة التي تغمرها، فالسعادة المرجوة تبدأ فصولها هنا، وتستكمل في «الوطن الآخر».

ومن هذا المنطلق، لا يكون الدفاع عن الحياة ترفًا فكريًا، ولا شعارًا عابرًا، بل مسؤولية وطنية وأخلاقية وإنسانية. فالأوطان لا تُبنى بالموت، ولا تُصان بالتفريط بأبنائها، ولا تُحفظ الحضارات بإطفاء شعلتها، بل بإرادة الحياة التي تتجدّد في الإنسان، وفي التطلعات نحو غدٍ باسم- ولعل في مقاربتنا لملّف السياحة اللبنانية في هذا العدد تأكيداً ودعوة الى عيش الحياة بملئها، رغم كل التحديات.

يبقى أن الصليب طريق إلى الحياة، وأن صليب لبنان سُلّمٌ إلى قيامة آتية حتمًا...، وقد آن أوانها.

رئيس التحرير

في السياحة كما في السياسة
رحلات تبحث عن السلام

لورا الخازن لحود

وزيرة السياحة

للسياحة في لبنان ميزة استراتيجية، تتخطى الأبعاد الاقتصادية والثقافية والتنموية. السياحة في لبنان تلتقط نبض البلد بسرعة استثنائية، فهي تنتعش مع كل جرعة ثقة، وتتأثر فوراً بكل اهتزاز في الاستقرار.

منذ أن تولّيت وزارة السياحة، أعيش يومياً تحدّي العمل من أجل بلد يملك كل مقومات الجذب، فيما لا تزال تحوم فوقه أسئلة لا يملك القطاع السياحي وحده أجوبتها.

مهمتنا أن نروّج للبنان، أن نستعيد ثقة الاغتراب والمسافرين، أن نشجّع الزوار على المجيء، وأن نقنع المستثمرين بأن الفرص موجودة. وفي الوقت نفسه، يبقى خطر التصعيد الأمني قائماً، وتكفي ساعات قليلة من التوتر لتتبدل الحجوزات، وتتراجع الرحلات، ويتوقف قرار استثماري كان يحتاج أشهراً كي ينضج.

داخل الإدارة، التحدي من نوع آخر. إصلاح الإجراءات، تبسيط التراخيص، إدخال الرقمنة وتحديث القواعد التنظيمية تصطدم أحياناً بتراكمات بيروقراطية، وصلاحيات متداخلة، وقراءات مختلفة للنصوص نفسها. كل خطوة إلى الأمام تحتاج إلى صبر، وتنسيق، وإصرار على إيجاد الحل ضمن القانون.

أما القطاع الخاص، فيواجه معادلة قاسية. كلفة الطاقة والتشغيل والصيانة والمواد الأولية والتمويل مرتفعة، فيما يحتاج الزائر إلى أسعار منطقية وخدمات ممتازة، تستحق ما يدفعه. الحفاظ على الجودة والقدرة التنافسية أصبح تحدياً يومياً لأصحاب الفنادق والمطاعم والمؤسسات السياحية.

أمام كل ذلك، يبقى خيارنا العمل.

نروّج لكل قرية تملك تراثاً حقيقياً، ولكل محصول يمكن أن يتحول إلى تجربة سياحية، ولكل مهرجان يخلق حركة اقتصادية حوله. ندعم المبادرات التي تجمع الزراعة، والمطبخ، والحرف، والثقافة، والطبيعة والضيافة في دورة اقتصادية يستفيد منها المجتمع المحلي.

وللسياحة الدينية في لبنان قدرة خاصة على أن تتحول إلى رحلة في ذاكرة روحية متعدّدة، حيث يتقاطع تاريخ الجماعات الروحية على أرض لبنان مع معالم الطبيعة والبنيان السياسي والاجتماعي، ويكتشف الزائر كيف صاغت تقاليد إيمانية مختلفة علاقتها بالمكان عبر قرون، وكيف ما زال هذا التاريخ حياً في وجدان الناس وفي تفاصيل حياتهم اليومية.

نحتفي بالأصالة عندما تتجدد، وبالابتكار عندما ينطلق من هوية المكان. ونفتح كل باب يعيد وصل لبنان بالمنطقة والعالم.

السياحة تستطيع أن تحرك الاقتصاد بسرعة، وأن تعيد الثقة بسرعة أيضاً. قدرتها تبقى مرتبطة بالبيئة التي تعمل فيها.

لبنان يحتاج قبل كل شيء إلى سلام مستدام، وإلى نهاية فعلية للحروب، وإلى سيادة كاملة للدولة على قرارها وأرضها. يحتاج إلى استقرار يتيح للمؤسسات أن تخطط، ولأصحاب الأعمال أن يستثمروا، وللعائلات أن تبني مستقبلها بثقة.

عندها، نخرج من سباق التعويض المستمر عن الخسائر، ونبني قطاعاً سياحياً قادراً على التخطيط والاستثمار والابتكار، وعلى أخذ مكانه الطبيعي في اقتصاد لبنان وفي علاقته بالعالم.

مؤتمر باريس: محطة أساسيّة للمؤسسة العسكرية

انتهى الاجتماع التحضيري الذي عُقد يوم الخميس ١٧ أيلول بلا إعلان مساعدات فورية، وهو ما كان متوقعًا. فالاجتماع ليس مؤتمر المانحين، بل اجتماع عملياتي لتحديد ما يحتاج إليه الجيش وما يستطيع القيام به.

ووفق الإليزيه، اتفق المشاركون على:

١. تقييم الاحتياجات العسكرية والمالية الدقيقة تمهيدًا لمؤتمر المانحين الموسّع المقرر أواخر ٢٠٢٦ أو مطلع ٢٠٢٧.

٢. توضيح «خطة انتشار» الجيش في الجنوب وفق «خطة واضحة، ذات مصداقية، وواقعية» كشرط مسبق لدعم قوي من المجتمع الدولي.

أما الملف الأكثر إلحاحًا فكان ما بعد اليونيفيل. فمع بدء تقليص اليونيفيل البالغ عديدها ٧٥٠٠ عنصر اعتبارًا من كانون الثاني ٢٠٢٦، ناقش المجتمعون كيفية سد الفراغ الأمني. وطُرح خياران: مهمة دولية جديدة تدعمها فرنسا وإيطاليا خارج مظلة الأمم المتحدة، أو مهمة بقيادة الاتحاد الأوروبي تركز على التدريب والتجهيز وتبادل المعلومات.

وقال الرئيس ماكرون في الختام: «باريس هي اليوم المكان الذي يجتمع فيه شركاؤنا لتعزيز سيادة لبنان وتمكينه من ضمان أمنه بشكل كامل. لبنان في سلام، هو أمل يولد من جديد لكل الشرق الأوسط».

وبالتالي، فإن هذا المؤتمر التحضيري يؤسّس للمرحلة اللاحقة أكثر مما ينتج مساعدات فورية. وهو ما يفسّر انخفاض سقف التوقعات اللبنانية. الرهان تحقق: الخروج بخارطة طريق وروزنامة واضحة كما طالب الرئيس عون.

العودة إلى لبنان محمّلة بالآمال

وقبيل مغادرته باريس

أمل رئيس الجمهورية أن تلقى احتياجات الجيش وقوى الأمن التجاوب من الدول الشقيقة والصديقة

لتعزيز قدرات المؤسستين العسكرية والأمنية وتمكينهما من الاطلاع بمهماتهما الوطنية.

وعبّر رئيس الجمهورية العماد جوزاف عون عن ارتياحه العميق لسير المداولات التي شهدها اجتماع باريس التحضيري لمؤتمر دعم الجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي، مثمّنًا عاليًا الجهود التي بذلها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون والعاهل الأردني الملك عبدالله الثاني ابن الحسين في التحضير لهذا الاجتماع، وحرصهما المتواصل على دعم لبنان في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخه. كما شكر الدول والمنظمات الدولية التي شاركت في الاجتماع، معتبرًا أن ذلك يدل على المكانة التي يحتلها لبنان لدى هذه الجهات.

وجدّد الرئيس عون التأكيد على الثوابت اللبنانية الجامعة، وفي مقدّمها صون السيادة، والحفاظ على الكرامة الوطنية، وحصرية السلاح بيد الدولة اللبنانية دون سواها، مشددًا على الدور المحوري الذي يقوم به الجيش اللبناني في بسط سلطة الدولة على كامل الأراضي اللبنانية، وخصوصًا في الجنوب بعد تحريره، بما يرسّخ استقرار البلاد ويحصّن وحدتها.

ويأتي الاجتماع التحضيري في إطار «مسار العقبة» الذي أطلقه الملك عبد الله العام ٢٠١٥ كإطار للتعاون والتنسيق الدولي في القضايا الأمنية والإقليمية.

وجاء هذا الاجتماع بعد تأخير سنة تقريبًا بسبب ظروف الحرب.

وتشارك فيه الدول الخمس الراعية: فرنسا والولايات المتحدة والسعودية ومصر وقطر بصفتها «اللجنة الخماسية» بالإضافة إلى ممثلين عن ١٧ دولة بينها ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا، وأكثر من ٥٠ دولة مانحة وجهت لها فرنسا الدعوة.

الموقف الفرنسي

من الجانب الفرنسي كان رئيس أركان الجيوش الفرنسية الجنرال فابيان ماندون قد أكد خلال لقائه قائد الجيش العماد هيكل في كانون الأول الماضي أن «دعم الجيش ضروري للحفاظ على أمن لبنان وسيادته واستقراره»، وأن «جيشينا يحافظان على تعاون تاريخي يتجلى في التدريب والقدرات والتمارين المشتركة» بهدف «المساهمة في الحفاظ على الاستقرار والسلام الدائم، مع احترام سيادة لبنان».

وعبّر عن «احترام عميق» لعسكرييه واصفًا إياهم «بالشجعان»، معتبرًا أن «المؤسسة العسكرية تجسّد تطلّع اللبنانيين إلى وحدة وطنية راسخة».

خطاب الرئيس عون في الإنفاليد

في كلمته، كشف الرئيس عون عن حجم الحرب: «أكثر من ٤٠٠٠ شهيد، بينهم ٣٩٩ امرأة و٢٦١ طفلاً، مع تدمير ممنهج للمدن والقرى» لا يوفر حتى قوات اليونيفيل.

وأكد: «لبنان اختار خيارًا واضحًا جدًا هو خيار الدولة. دولة تبسط سلطتها على كامل أراضيها وتحمي مواطنيها وحدودها. دولة تعود إليها وحدها قرارات الحرب والسلام وتمتلك وحدها احتكار حمل السلاح. الجيش هو حجر الزاوية في الحفاظ على السيادة. هذا ليس طلبًا دوليًا مفروضًا، إنه خيار لبناني ومصلحة لبنانية».

وأضاف: «الإطار الثلاثي المتفق عليه مع إسرائيل برعاية الولايات المتحدة ينص على وقف الأعمال العدائية، لكن الاتفاقات لا تتحقق بمجرد التوقيع. لبنان يواصل الوفاء بتوقيعه. واحترام هذا الالتزام لا يمكن أن يتم طالما استمرت الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية واستمر احتلال جزء من الأراضي اللبنانية».

وختم بنداء: «لبنان لا يسعى لمساعدة مؤقتة، بل لشراكة طويلة الأمد واضحة في التزاماتها، قادرة على تزويد مؤسساتنا بالقدرة على التخطيط بدلاً من إدارة احتياجاتها من أزمة إلى أخرى. نحن مصممون على الشفافية ووضع آلية قابلة للتحقق تضمن وصول المساعدات إلى حيث تُطلب. نحن لا نطلب دعم مؤسسة فقط، نطلب الاستثمار في نجاح الدولة اللبنانية. إذا لم ننجح في اغتنام اللحظة معًا اليوم، فقد لا تتاح الفرصة غدًا. هذا ليس وقت الانتظار، إنه وقت العمل.»

الحاجات

تُقدّر احتياجات الجيش بنحو ٩ مليارات دولار، والمساعدات العاجلة بنحو ٣ مليارات لتأمين انتشار ١٥٠٠ عنصر إضافي في الجنوب وعلى الحدود الشرقية، وتشمل طائرات مسيّرة ومضادات طائرات وبنية تحتية رقمية وقدرات اتصال استراتيجي ومراكز مراقبة ومعدات إزالة ألغام.

فهل يكون مؤتمر المانحين الموسّع لدعم الجيش»حبل إنقاذ» للمؤسسة العسكرية؟

جان دارك أبي ياغي

يوحنا العاشر في روما... وجع الشرق في قلب الكنيسة الجامعة

في روما، ذاكرة الكنيسة الجامعة وحاضرها ورجائها، لم تكن زيارة بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس يوحنا العاشر مجرّد زيارة كنسيّة أو لقاء بروتوكولي، إنما كانت أنطاكية، بتاريخها الرسولي العريق، تدخل إلى قلب المدينة الخالدة، حاملةً معها صوت الشرق المسيحي، وأوجاعه وأسئلته ومخاوفه، وأيضًا إيمانه بأن المسيحية الشرقية ليست بقايا من زمن مضى، بل حضور حيّ، متجذّر في الأرض التي منها انطلقت البشارة إلى العالم.

في القصر الرسولي، استقبل البابا لاوون الرابع عشر البطريرك يوحنا العاشر، في لقاء حمل في عمقه أكثر من عنوان. فكان الشرق الأوسط، حاضرًا بثقله الإنساني والكنسي، كما حضرت العلاقات بين الكنيستين وسبل تعزيزها في زمن تحتاج فيه الكنائس، أكثر من أي وقت مضى، إلى أن تكتشف ما يجمعها قبل أن تتوقف عند ما يفرّقها. كان اللقاء بين أنطاكية وروما، في هذا المعنى، لقاء كنيستين تحملان ذاكرة رسل وشهداء وقديسين، وتلتقيان أمام تحدّيات عالم يتغيّر بسرعة. وقد عبّر البطريرك يوحنا العاشر مرارًا عن أهمية الوجود المسيحي في الشرق، مؤكدًا أن المسيحيين في هذه الديار ليسوا طلاب حماية، بل شركاء في بناء أوطانهم وحماية أرضهم مع سائر المواطنين. فيما يتعلّق بالوضع اللبناني أكّد غبطته على ضرورة وضع حد للعدوان الإسرائيلي الذي يستهدف جنوب لبنان، وشدّد على ضرورة توحيد الصف اللبناني للنهوض بالواقع الإجتماعي.

ومن القصر الرسولي إنتقل الصوت الأنطاكي إلى دوائر القرار في الكرسي الرسولي. فقد استقبل أمين سر دولة الفاتيكان الكاردينال بيترو بارولين، البطريرك الضيف، الذي التقى ايضًا رئيس دائرة الكنائس الشرقية الكاثوليكية الكاردينال كلاوديو غوجروتي. وكانت الملفات المطروحة تتجاوز حدود العلاقات الكنسية إلى جراح الشرق المفتوحة كالحروب، والعدوان، وتغييب المطرانين بولس يازجي ويوحنا ابراهيم، ومستقبل الوجود المسيحي، وضرورة تثبيت ثقافة المواطنة والعيش الواحد، وتعزيز الحوار.

من دمشق وأنطاكية إلى روما، يحمل يوحنا العاشر رسالة واضحة: نريد السلام لا الحرب، والمواطنة لا التمييز، والحوار لا القطيعة، والعيش الواحد لا الانغلاق. لقد اعتادت الكنيسة أن تتحدث عن «جغرافيا الخلاص». وفي الشرق، تبدو هذه الجغرافيا حاضرة بقوة: دمشق، لبنان، القدس، بيت لحم... أمّا اليوم، فإن هذه الأرض المقدسة تتألم، والكنيسة التي ولدت فيها البشارة مدعوّة إلى أن تكون، وسط الركام، شاهدة على سلام المسيح.

من هنا، يمكن قراءة زيارة البطريرك يوحنا العاشر إلى روما كرسالة تتجاوز حدود الكنيستين. إنها دعوة إلى أن تصغي الكنيسة الجامعة إلى نبض الشرق، وأن يبقى الشرق حاضرًا في قلب الصلاة المسيحيّة العالميّة. فأنطاكية، التي حملت اسم المسيح إلى العالم، جاءت إلى روما لا لتروي تاريخها فحسب، بل لتقول إن هذا التاريخ لم ينتهِ. وإن كنائس الشرق، مهما اشتدّ عليها الألم، لا تزال تؤمن بأن الحجر الذي ظُنّ أنه أغلق القبر لا يستطيع أن يغلق آفاق المستقبل.

ماري تريز باشا حنين

القراءة السياسية

من السلاح إلى الودائع... هل حملت جلسة المساءلة الأجوبة الحاسمة؟

كان يفترض أن تكون جلسة مساءلة الحكومة مناسبة لفتح الملفات الثقيلة ومحاسبة الأداء في مرحلة استثنائية، فإذا بها تنزلق إلى مساحة من تصفية الحسابات والمناكفات السياسية، فيما بقيت الأسئلة الأكثر إلحاحاً معلّقة فوق الطاولة: السلاح والقرار السيادي، الحرب والمفاوضات، كلفة الحرب وإعادة الإعمار، أموال المودعين، الكهرباء والتعيينات.

جلسة طويلة في الشكل، غلبت عليها السجالات السياسية، فيما بدا المجلس وكأنه يستعيد الانقسام نفسه بأدوات مختلفة بين حكومة تدافع عن حصيلة إنجازاتها ومعارضة تفتح دفاتر الإخفاقات.

رئيس الحكومة نواف سلام دخل على خط السجال، حاملاً «دفتر جردة الحسابات القديمة»، للدفاع عن أداء حكومته، مذكّراً بأن حكومته تسلّمت دولة مثقلة بالأزمات، وأن الحرب فرضت أولويات استثنائية. لكن السؤال السياسي يبقى: ماذا تغيّر منذ تسلّم الحكومة مفاتيح الدولة، وماذا بقي في صندوق الوعود؟

ففي الكهرباء مثلاً، تحدث سلام عن تحسن التغذية إلى ٧-٩ ساعات في مرحلة سابقة، وعن إصلاحات في القطاع، إلى جانب ملفات مالية وإدارية عملت الحكومة على معالجتها، قبل أن تأتي الحرب لتعيد بعض المؤشرات إلى الوراء. وهنا تصبح المساءلة أكثر تعقيداً: ما الذي يعود إلى تراكمات الماضي، وما الذي تتحمل الحكومة مسؤوليته، وما الذي فرضته الحرب عليها؟

لكن الجلسة كشفت في الوقت نفسه أن كل الملفات الداخلية باتت رهينة السؤال الأكبر: من يملك قرار الحرب والسلم؟

فملف السلاح والقرار السيادي بقي في قلب النقاش، إلى جانب الجنوب والمفاوضات مع إسرائيل. رفعت القوات اللبنانية وعدد من النواب المستقلين والتغييريين مطلب حصر السلاح بيد الدولة، فيما شدد اللقاء الديمقراطي على مرجعية الدولة والجيش، وأكد التيار الوطني الحر تمسّكه بحصر السلاح في يد الجيش، بالتوازي مع قرار الحكومة تكليف الجيش تنفيذ الخطة المرتبطة بذلك.

في المقابل، قدّم نواب الوفاء للمقاومة مقاربة تربط مسألة السلاح بقدرة الدولة والجيش على حماية لبنان في ظل الاعتداءات الإسرائيلية.

ومن هنا، لا يعود ملف السلاح منفصلاً عن بقية الملفات. فاستمرار الحرب يرفع كلفة إعادة الإعمار، ويضغط على الاقتصاد والسياحة والاستثمارات، فيما تبقى أموال المودعين والكهرباء والتعيينات ملفات داخلية تنتظر حلولاً لا تستطيع الحكومة تأجيلها إلى ما لا نهاية.

في إعادة الإعمار، يبقى السؤال: من يتحمل الكلفة ومن يؤمّن التمويل؟ وفي الودائع، ما مصير أموال المودعين وخطة معالجة الفجوة المالية؟ أما الكهرباء، فتبقى بين انتقادات نيابية للحكومة وحجج رسمية تتعلق بكلفة الاستثمار والحاجة إلى مليارات الدولارات.

وفي التعيينات، استمر الجدل حول المعايير والشفافية والاستقلالية، في مقابل تأكيد الحكومة اعتماد الكفاءة والمعايير.

وبذلك، لم تحمل الجلسة أجوبة حاسمة بقدر ما كشفت حجم العقد التي تواجه الحكومة: بعضها مرتبط بالحرب والسلاح والتفاوض، وبعضها الآخر يقع في صلب مسؤوليتها المباشرة. وبين الاثنين، يبقى السؤال الأهم: هل تستطيع الحكومة تحويل ما تقوله عن الإصلاح إلى نتائج ملموسة، أم أن قرار الحرب والسلم سيظل العامل الذي يحدد سقف قدرتها على الحكم؟

مريم جمّال

المستقبل لا يزال ممكنًا... حين يستعيد اللبناني حقّه في الغد

أنطوان العويط

ليست المأساة الكبرى في لبنان أنّ الناس فقدوا ما يملكون، بل أنّهم بدأوا يفقدون ما لم يأتِ بعد. إنّه المستقبل.

فالخسارة التي تُقاس بالأرقام، مهما اشتدّت وطأتها، تبقى قابلة للحصر، وفي بعض الأحيان للتعويض. أمّا حين يفقد مجتمع بأكمله قدرته على تخيّل الغد، فإنّ الخسارة تتجاوز المال والبنى والمؤسّسات، لتطال المعنى نفسه. عندها يجد الإنسان نفسه عالقًا في حاضر لا يثق به، ومستقبل لا يراه.

فالإنسان لا يعيش بما هو كائن فحسب، بل بما يمكن أن يكون. ولعلّ إرنست بلوخ، الفيلسوف الألماني وأحد أبرز فلاسفة الأمل في القرن العشرين، كان من أكثر من بلوروا هذه الفكرة في «مبدأ الأمل»، حين جعل «ما لم يصبح بعد» جزءًا أساسيًا من التجربة الإنسانية. فالأمل ليس انتظارًا ساذجًا، بل قدرة على استشراف إمكان لم يتحقّق بعد، والإيمان بأنّ ما هو قائم ليس نهاية الممكن.

ومن هذه الزاوية، تبدو مأساة لبنان أعمق من أزماته المتلاحقة. لقد عاش اللبناني طويلاً على وعد الغد. بعد كلّ حرب كان ثمّة إعمار، وبعد كلّ مأزق كانت تلوح نافذة يُفترض أن تقود إلى مرحلة مختلفة. لكنّ تكرار المحن وطول أمدها بدّلا علاقة الإنسان بالمستقبل. صار الغد امتدادًا غامضًا لحاضر مثقل، وموعدًا محتملاً لنكبة أخرى. وحين تتراكم العوائق، لا تختفي الرغبة في حياة أفضل، لكنّ الإيمان بإمكان الوصول إليها يتآكل.

وهذا يفسّر جانبًا عميقًا من الحالة اللبنانية. فاللبناني لم يفقد رغبته في الحياة أو النجاح أو الاستقرار، لكنّه أضاع، في كثير من الأحيان، الطريق الذي يقوده إليها. يريد الشاب أن يؤسّس مستقبله، لكنّه لا يعرف إن كان يستطيع أن يبنيه هنا. يريد أن يبدأ مشروعًا، لكنّه لا يعرف أيّ انهيار جديد قد يطيح بما بناه. تريد العائلة أن تخطّط لتعليم أبنائها، لكنّها لا تعرف ماذا ستكون قيمة ما تدّخره غدًا.

ومن هنا يمكن فهم الهجرة اللبنانية لا بوصفها مجرّد خروج من مكان، بل خروجًا من حاضر مسدود بحثًا عن مستقبل يعتقد اللبناني أنّه لا يزال ممكنًا في مكان آخر.

لهذا، فإنّ عودة لبنان لا ينبغي أن تُختزل في استعادة القرار، وحصريّة السلاح، وتحرير الأرض، وإعادة الإعمار، وإصلاح الاقتصاد، وإعادة بناء المؤسّسات، على أهميّة ذلك كلّه. فهذه ضرورات لا غنى عنها، لكنها لا تكفي إذا بقي الإنسان عاجزًا عن تصديق أنّ ما يبنيه اليوم سيظلّ قائمًا غدًا.

فالدولة، في معناها الأعمق، ليست مجرّد سلطة تحمي الحدود وتدير المؤسّسات؛ إنّها أيضًا الإطار الذي يتيح للإنسان أن يخطّط لحياته، وأن يراهن على السنوات المقبلة. وحين تستعيد الدولة قدرتها، يستعيد المواطن معها يقينه بأنّ الغد قابل للبناء.

لذلك، ربّما تكون المعركة الأهم في لبنان اليوم أقلّ ارتباطًا باستعادة ما خسره في الماضي، وأكثر ارتباطًا بمنع خسارة ما لم يفقده بعد. عندها، يصبح المستقبل ممكنًا. لكنّ المستقبل لا يأتي وحده. إنّه يحتاج إلى دولة، وإلى ثقة، وإلى مسارات واضحة، وإلى إنسان يؤمن بأنّ جهده لن يضيع عند أول منعطف. فأخطر ما يمكن أن يخسره وطن هو تلك اللحظة التي يتوقف فيها أبناؤه عن رؤية أنفسهم في غده. عندها يكون المستقبل نفسه قد بدأ بالرحيل.

واللبناني لا يحتاج فقط إلى أن تنتهي أزماته؛ يحتاج إلى أن يستعيد حقّه في أن يرى نفسه في ما سيأتي. يحتاج، قبل كلّ شيء، إلى أن يستعيد حقّه في الغد.

تحقيق

السياحة في لبنان ٢٠٢٦
موسم قصير في مهبّ الظروف الأمنية

يشكّل القطاع السياحي مصدرًا أساسيًا للعملة الصعبة وللدورة الاقتصادية المتكاملة. وتُقدَّر مساهمة السياحة في الاقتصاد اللبناني بنحو ٢٥ ٪ وفق تقديرات متداولة، من دون وجود رقم رسمي نهائي يمكن الركون إليه.

لكن موسم ٢٠٢٦ لم يكن شبيهًا بالمواسم السابقة. فبينما كان لبنان يعوّل على صيف واعد يعيد تنشيط القطاع بعد سنوات من الأزمات، جاءت الظروف الأمنية لتفرض إيقاعًا مختلفًا، وتختصر الموسم السياحي عمليًا في ذروة تموز وآب، وسط تراجع واضح في حركة السفر والوافدين.

وللوقوف على حقيقة ما تقوم به وزارة السياحة في مواجهة التحديات التي فرضها موسم ٢٠٢٦، تواصلنا مباشرةً مع وزيرة السياحة لورا الخازن لحود، التي رحّبت وطلبت إلى مكتبها تزويدنا بالمعطيات والتفاصيل المتعلقة بعمل الوزارة.

أرقام المطار تكشف حجم التراجع

أرقام المطار تبيّن بوضوح حجم الفجوة بين موسمي ٢٠٢٥ و٢٠٢٦. ففي آب ٢٠٢٦، بلغ مجموع الركاب الذين استخدموا المطار ٨٣٥ ألف راكبًا، مقابل ٩٢٩ ألف راكبًا في آب ٢٠٢٥، أي بتراجع يقارب ١٠ في المئة. وبلغ عدد الوافدين إلى لبنان ٣٦٩ ألفًا و٩٧٢ راكبًا، مقابل ٣٩٧ ألفًا و٥١٧ في آب ٢٠٢٥، فيما بلغ عدد المغادرين ٤٦٥ ألفًا و٥٨٦ راكبًا، مقابل ٥٣٢ ألفًا و٢٧٤ في آب العام الماضي.

وسجّل المطار خلال آب ٦٠٣٦ رحلة جوية، بانخفاض نسبته نحو ٩ في المئة مقارنة بآب ٢٠٢٥.

ورغم أن آب كان الشهر الأكثر حركة منذ بداية العام، بعد أن بلغ مجموع الركاب في تموز ٧٢٢ ألفًا و٤٣ راكبًا، فإن التحسن الصيفي لم يكن كافيًا لتعويض التراجع المتراكم. فمنذ بداية ٢٠٢٦ وحتى نهاية آب، بلغ مجموع الركاب ٣ ملايين و٥٧١ ألفًا و٣٣٨ راكبًا، مقابل ٤ ملايين و٨٠٢ ألفًا و٣٨ راكبًا في الفترة نفسها من ٢٠٢٥، أي بتراجع نسبته ٢٥,٦ في المئة.

وهكذا، تبدو الصورة واضحة: الحركة لم تتوقف، لكنها بقيت دون مستوى العام الماضي.

العراقيون يعاكسون اتجاه السوق العربية

وسط هذا التراجع، برز تطور لافت في تركيبة السياحة الوافدة. فقد سجّلت أعداد العراقيين الوافدين إلى لبنان ارتفاعًا بنحو ٨١,١٢ في المئة، في وقت تراجعت فيه أعداد الآتين من معظم الجنسيات العربية الأخرى بنسب تراوحت بين ١٤ و٤٠ في المئة.

وتصدر العراقيون والأردنيون والمصريون حركة الوافدين العرب هذا الصيف، فيما بقي الإقبال من عدد من الأسواق العربية الأخرى خجولاً نسبيًا.

وتكشف هذه الأرقام أن لبنان لم يفقد جاذبيته السياحية بالكامل، لكنه بدأ يشهد تحولاً في خريطة أسواقه. فالسائح الذي يقرر زيارة لبنان يتأثر أيضًا بدرجة الأمان، وأسعار تذاكر الطيران، واستقرار الرحلات الجوية.

الأسواق الأوروبية... الغائب الأكبر

رئيس نقابة أصحاب مكاتب السياحة والسفر جان عبود، وفي حديث خصّ به «الدستور»، يلفت إلى أن حجوزات السفر إلى لبنان تأثرت بقوة خلال فترة الحرب، إذ بدأ التراجع بمستويات وصلت إلى نحو ٧٥ في المئة، قبل أن ينخفض التراجع لاحقًا إلى حدود ٢٥ في المئة.

وبحسب عبود، فإن أحد أبرز التحوّلات التي شهدها السوق هو اختفاء جزء كبير من الحركة الأوروبية. فمنذ ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣، لم تعد السوق الأوروبية إلى مستوياتها السابقة، علمًا أن السياح الأوروبيين كانوا في صيف ٢٠٢٣ يشكلون نسبة أعلى من السياح العرب الوافدين إلى لبنان.

أما على مستوى السوق العربية، فبقي الأردنيون والعراقيون والمصريون في مقدمة الوافدين، فيما كانت الآمال معلّقة على عودة السياح الإماراتيين، إلا أن عدم الاستقرار الأمني حال دون تحقيق هذه العودة بالمستوى المأمول.

المغتربون... صمام الأمان

في المقابل، فقد شكّل المغتربون والموظفون اللبنانيون في الخارج جزءًا مهمًا من الحركة خلال العطل، ليؤكدوا مرة جديدة أن اللبناني نفسه يبقى أحد أهم محركات السياحة والاستهلاك في لبنان.

علمًا أن المغتربين لا يساهمون فقط من خلال إنفاقهم خلال إقامتهم، بل يشكلون أيضًا ركيزة أساسية للاقتصاد عبر التحويلات التي يرسلونها إلى عائلاتهم.

لكن حتى هذه الحركة لم تكن بمنأى عن الأزمة. فغلاء تذاكر الطيران، وعدم استقرار حركة الملاحة الجوية، إضافة إلى تداعيات الحرب وأزمة مضيق هرمز، جعلت قرار السفر أكثر كلفة وأقل سهولة. مع الإشارة إلى أن عددًا من شركات الطيران علّق رحلاته إلى لبنان، فيما عادت شركات أخرى إلى التشغيل، ما أبقى حركة الطيران في حالة من عدم الاستقرار.

ويقول النقيب عبود إن الرهان يبقى على مرحلة ما بعد الحرب، مؤكدًا أن المطلوب عدم حصر السياحة اللبنانية في أسواق محددة، بل اتباع سياسة منفتحة على مختلف الأسواق.

إدارة القطاع في زمن الأزمة

في وزارة السياحة، لا يقتصر العمل على الترويج للبنان كوجهة سياحية، بل يشمل أيضًا الملفات التنظيمية والإدارية، من التراخيص والتعاميم إلى المتابعة الميدانية، وتنظيم عمل المفتشين والشرطة السياحية، ومراقبة الأسعار وتسعيرات الفنادق، والتأكد من تطبيق معايير السلامة في المؤسسات والمنتجعات السياحية.

لكن المشكلة الأساسية تبقى في التمويل. فغياب موازنة كافية ومخصصة للوزارة يحدّ من قدرتها على تنفيذ مشاريع واسعة، ويجعل كثيرًا من المبادرات رهنًا بالشراكات والتعاون مع القطاع الخاص وجهات أخرى.

وفي هذا السياق، ساهمت الوزارة في عدد من المبادرات المرتبطة بالتنسيق مع الأجهزة والمؤسسات الأخرى، ومنها تدريب عناصر من الأمن العام، والتعاون مع وزارة الأشغال في ملفات مرتبطة بالمطار، والمساهمة في تنشيط الحركة البحرية وفتح مرفأ جونية أمام نشاطات جديدة.

العودة إلى الخريطة السياحية الدولية

وفي محاولة لإعادة لبنان إلى الخريطة السياحية الدولية، وضعت وزيرة السياحة لورا الخازن لحود المشاركة في المؤتمرات والفعاليات الدولية المتخصصة في صلب أولوياتها، بعد غياب لبنان لسنوات عن عدد من المحافل السياحية العالمية.

وشاركت الوزيرة في مؤتمرات سياحية في الخارج كما دعت الأمينة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للسياحة، الشيخة نوزا بنت محمد آل ثاني، إلى زيارة لبنان، حيث أمضت ثلاثة أيام في البلاد خلال آب، وزارت عددًا من المناطق اللبنانية، قبل أن تشارك في ندوة في السراي الحكومي.

«سفرة» «Cedar Waves»

في آذار ٢٠٢٦، أطلقت وزارة السياحة بالتعاون مع شركاء من القطاع الخاص ونقابة أصحاب المطاعم مبادرة «سُفرة»، وهي منصة رقمية تربط المتبرعين بالمطاعم اللبنانية والمنظمات غير الحكومية لتمويل وإعداد وتوزيع وجبات ساخنة للعائلات النازحة. وتحمل المبادرة بعدًا مزدوجًا: الاستجابة للأزمة الإنسانية من جهة،وإبقاء المطاعم وقطاع الضيافة جزءًا من الدورة الاقتصادية من جهة أخرى.

وفي محاولة أخرى لتنشيط السياحة، برز مشروع «Cedar Waves» الخاص، والذي يهدف إلى إعادة تفعيل النقل البحري. وفي ٥ أيلول، انتقلت الباخرة في رحلة سياحية من جونية إلى صيدا، وعلى متنها أكثر من ٢٨٠ شخصًا، في رحلة نظمت بالتعاون مع بلدية صيدا وبرعاية وزيرة السياحة.

وتكمن أهمية المشروع في إعادة إدخال البحر إلى المعادلة السياحية اللبنانية: ربط المدن الساحلية، وتشجيع السياحة الداخلية، وإعادة اكتشاف لبنان من بوابته البحرية. أما دور وزارة السياحة، فيتمثل في الرعاية والترويج والدعم السياحي لهذه المبادرة.

مهرجانات كبيرة أُلغيت... وسياحة تنتظر الاستقرار

كان لبنان يعوّل مع بداية ٢٠٢٦ على انطلاقة سياحية قوية وعلى مهرجانات وفعاليات كبرى تعيد الحياة إلى مختلف المناطق. إلا أن الظروف الأمنية أدت إلى إلغاء عدد من هذه الفعاليات أو تقليصها، ما حرم القطاع من أحد أهم محركات السياحة الداخلية.

فالمهرجان لا يعني فقط بيع تذاكر. إنه إشغال فنادق، وحجوزات مطاعم، وحركة نقل، وتسوق، وعودة مغتربين، وفرصة للمناطق لاستقطاب الزوار.

ولهذا فإن إلغاء الفعاليات يضرب سلسلة اقتصادية كاملة تتجاوز قطاع السياحة بالمعنى الضيق.

كيف نستعيد الثقة؟

السائح يحتاج أن يعرف أن الرحلة ستنطلق، والطائرة ستصل، والفندق سيعمل، والطريق آمن، والمهرجان سيقام، والمرفأ مفتوح.

تكشف تجربة ٢٠٢٦ أن المشكلة اللبنانية السياحية لم تعد في غياب المقومات. بل في غياب الاطمئنان.

ومن هنا، فإن معركة السياحة اللبنانية في المرحلة المقبلة لن تكون فقط معركة جذب سائح، بل معركة استعادة الثقة.

إجمالي الواصلين حسب الجنسيات - الوطن العربي (يوليو ٢٠٢٥-٢٠٢٦)

الجنسية	٢٠٢٥	٢٠٢٦
العراق	١٥,١٤١	٢٧,٤٢٤
الاردن	٩,٩٢٦	٨,١٣٤
مصر	٤,٧١١	٤,٠٤٣
السعودية	٤٢٨	٢٨٠
البحرين	٥٠٤	٢٧٨
الكويت	٥,٢٣٢	٢,٨٧٧
المغرب	٥١٠	٣٥٤
قطر	١,٢٨٢	٥٨٣
تونس	٤٦٨	٣٣٢
الامارات العربية المتحدة	١,٥٩٠	٩٣٩
الجزائر	٣٧٢	١٨٣

م.ج.

السياحة الدينية في لبنان:

نحو تنمية مستدامة

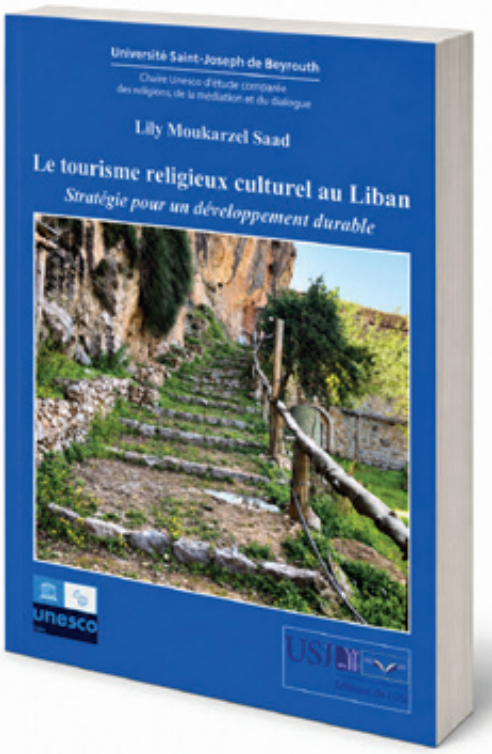

د. ليلي مكرزل سعد

تُعد السياحة الدينية من أقدم أشكال التنقل البشري، إلا أن مفهومها المعاصر تجاوز السفر لأداء الشعائر والعبادة والتأمل الروحي، ليشمل التعرف إلى التاريخ والفن والعمارة والتراث، واكتشاف الطبيعة والتفاعل الثقافي. وتشير تقديرات منظمة السياحة العالمية إلى أن المواقع الدينية الرئيسية تستقبل نحو ٣٠٠ إلى ٣٣٠ مليون زائر سنوياً، فيما تُقدّر الرحلات ذات الدوافع الدينية، المحلية والدولية، بنحو ٦٠٠ مليون رحلة سنوياً.

وتبرز أهمية السياحة الدينية في قدرتها على تنشيط قطاعات متعددة، كالنقل والإقامة والمطاعم والتجارة والحرف والخدمات الثقافية، فضلاً عن مساهمتها في حماية التراث وتعزيز التفاعل بين المجتمعات والزوار. وتشير الدراسات إلى أن السياحة الدينية يمكن أن تندرج ضمن التنمية المستدامة عندما تُدار بما يوازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

وفي لبنان، تكتسب السياحة الدينية أهمية خاصة نظراً لغنى البلاد بالمواقع الدينية وتنوعها الديني والجغرافي والثقافي. وقد تناولت ابحاث قمنا بها تطوير السياحة الدينية في لبنان من منظور استراتيجي مرتبط بالتنمية المستدامة، بما يؤكد الحاجة إلى الانتقال من الترويج للمواقع بصورة منفردة إلى بناء منظومة سياحية متكاملة.

ومن الضروري التمييز بين الحج والسياحة الدينية؛ فالحج يرتبط أساساً بممارسة دينية وتقوية، بينما تشمل السياحة الدينية نطاقاً أوسع لتأخذ ابعاداً ثقافية ومجتمعية وترفيهية. وبالتالي، يمكن للموقع الديني الواحد أن يجذب زواراً لدوافع وخلفيات متعددة.

وتتجلى مساهمة السياحة الدينية في التنمية المستدامة عبر ثلاثة أبعاد رئيسية: اقتصادياً، بحيث تخلق حركة الزوار طلباً على الخدمات المحلية وتوفر فرصاً للمؤسسات الصغيرة والأسر المنتجة، خصوصاً في المناطق الريفية؛ اجتماعياً وثقافياً، اذ تتيح المواقع الدينية التفاعل بين الزوار والمجتمعات المضيفة، وقد تدعم الحوار والتفاهم بين الأديان، وهو ما يكتسب أهمية خاصة في لبنان؛ وبيئياً، بحيث تستدعي زيادة أعداد الزوار تعزيز الخدمات والقدرة الاستيعابية للمواقع، مع إمكانية توظيف القيَم الدينية لتعزيز الوعي البيئي.

ويمثل دير مار مارون - عنايا نموذجاً واضحاً لكل هذه الدوافع ، إذ يستقطب مؤمنين لأسباب روحية، إلى جانب زوار من مختلف الجنسيات والطوائف والأديان، كما يساهم بالتنمية المستدامة بأبعادها الثلاثة من حيث تزايد عدد المؤسسات الخدماتية من مطاعم وغيرها بشكل دائم، مع الحفاظ على الطابع الروحي للموقع، وعلى الفوائد الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة. كذلك الأمر بالنسبة لمزار سيّدة لبنان - حريصا ولمزارات أخرى في شتى انحاء البلاد. ولعلّ ما قامت به مؤسسة تنمية الحج الديني في لبنان (APL) من اطلاق مشروع (Caminos Lebanon) من شأنه أن يساهم عملياً في تنميّة مناطق كثيرة واعطاء السياحة الدينية بُعداً مستداماً.

نظراً إلى تفاوت الأرقام المنشورة حول أعداد الزوار، تبرز الحاجة إلى نظام وطني موحد لقياس حركة الزوار، والتمييز بين الزيارات والأشخاص، وبين المحليين والدوليين. ومن هنا، تحتاج السياحة الدينية في لبنان إلى استراتيجية وطنية تقوم على إنشاء قاعدة بيانات، وتطوير مسارات تجمع بين السياحة الدينية والثقافية والطبيعية والريفية، وتعزيز مشاركة المجتمعات المحلية، واعتماد معايير الاستدامة، وقياس الأثر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والبيئي.

وفي المحصلة، يمتلك لبنان مقوّمات مهمة لتطوير السياحة الدينية كجزء من التنمية المستدامة. ولا ينبغي أن يقتصر الهدف على زيادة أعداد الزوار، بل على تحويل الزيارات إلى قيمة اقتصادية واجتماعية وثقافية مستدامة، مع الحفاظ على أصالة المواقع وتراثها وبيئتها، وتعزيز مكانة لبنان كوجهة للتنوع الديني والثقافي والحوار بين الأديان.

السياحة جنوبًا

إقامة يسوع في كوكبا

د. نبيل أبو نقّول

لعبت كوكبا منذ فجر التاريخ دورًا مهمًّا على الصعيدين الدينيّ والاجتماعيّ. وأعطاها موقعها الجغرافيّ المميّز قيمة كبرى، فاستمدّت كوكبا اسمها من جبل حرمون، وأغلب الظّنّ أن يكون «مشتقًا من اللغة الأوغاريتيّة، من الجذر كبكب أو ككب، وتعني الكوكب»[١]، وقد يكون «اسمها من جذر ساميّ مشترك ثنائيّه كب ويفيد الاستدارة»[٢]، وقد يكون من «اللغة الآراميّة – السريانيّة كوكبا ومعناه الكوكب أو كوكب الزهرة»[٣]، وقد يعني أيضًا «نجمة الصبح»[٤]، تيمّنًا بلقب الإله عطر أو شوب، الذي يقع معبده فوق قمّة حرمون، هو «نجمة الصبح أيضًا»[٥]. وبحسب ما ورد في كتاب (الأخبار الشهيّة)، «ربما موقع كوكبا الجغرافيّ يساعد على هذه التسمية لأن شمس الصباح الطالعة من وراء حرمون أول ما تقبّل جبهتها، فدعيت بنجمة الصباح»[٦].

وأبرز ما تفاخر به بلدة كوكبا اليوم، هو أنّها كانت موئلاً لسيّدنا يسوع المسيح، يزورها باستمرار لأنّ «أقرباء أمّه مريم العذراء كانوا يسكنون فيها»[٧]، وكان يعرّج عليهم «ويقيم عندهم أسابيع بسبب علاقتهم بعائلته»[٨].

وأقرباء المسيح في كوكبا هم أبناء مريم خالة العذراء، حيث يذكر هيبولوتس الطيبي أنّ «متّان أنجب ثلاث فتيات، مريم وصَبّة وحنّة، تزوّجت حنّة في الجليل وهي أمّ العذراء مريم، وأقامت صَبّة في بيت لحم وهي أمّ إليصابات، وانتقلت مريم إلى كوكبا وتزوّجت هناك.

وإقامة يسوع في ربوع كوكبا فترات متكرّرة، منحت هذه البلدة نعمًا كثيرة، فكانت باكورة من تلقّى البشارة من المسيح بنفسه، حيث خصّها بعدد من الآيات والمعجزات، وأعلن، أمام أهلها، آية قيامة الموتى الأبرار، قبل أن يعود ويعلنها، مرّة أخرى، أمام الصدّوقيّين، فآمن به أهلها واتّبعوا تعاليمه.

وهذا الأمر يجعلنا نلتفت إلى بستان الزيتون الدهريّ، في كوكبا، لنؤكّد، أنّ المسيح له المجد كان يقصده ويستظلّ أشجاره الدهريّة، ويصلّي في فيئها، وينثر طهره مع النسائم المتغلغلة في أغصانها. وما زال عبق القداسة يرفّ في هذا البستان، وفي سماء كوكبا فيظلّلها ويحميها. وهذا الموقع يحتوي على مجموعة من أشجار الزيتون الدهريّة، التي لا مثيل لها من حيث العمر والعدد. أمّا حجمها الضخم فجعلها مثار فخرٍ واحترام وقداسة، ممن يقصدها زائرًا متبرّكًا.

وهناك دلائل تثبت قِدم هذه الأشجار ورمزيّتها الدينيّة المميّزة، فتربطها مباشرة بطوفان نوح، وبغصن الزيتون الذي حملته إليه الحمامة. ومن هذه الدلالات ما قاله أخنوخ في سفره «قبل الطوفان كان مقرّ نوح في جبل حرمون، أي في لبنان الشرقيّ»[٩] وما قاله الرحالة مريسون من أنّ «نوحًا صنع سفينته في الجبل الشرقيّ»[١٠]، وبعددئذ كثر الماء «فسارت السفينة على وجه المياه مدّة أربعين يومًا»[١١].

لكنّ قيمة هذا البستان، وما يضمّه من أشجار زيتون دهريّة، تتخطّى العمر والحجم والعدد لتتجلّى في الهالة القدسيّة، التي وهبه إيّاها ربّنا يسوع المسيح له التسبيح والمجد والإكرام.

---

١ - يوسف الحوراني، المجهول والمهمل من تاريخ الجنوب، دار الحداثة بيروت، ١٩٩٩م، ص: ١٤٦

٢ - أنيس فريحة، معجم أسماء المدن والقرى اللبنانيّة، ط ٤ ، مكتبة لبنان. ١٩٩٦ ، ص: ١٥٦

٣ - يوسف حبيقة واسحق أرملة، أسماءألقرى اللبنانيّة السريانيّة، مجلّة المشرق، أيلول ١٩٣٩

٤ - أنيس فريحة: مدن وقرى لبنان، مجلّد ١٩، دار نوبيليس. ص: ١٧١

٥ - حسن نعمة، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م، ص: ٢٤٢

٦ - الأب يوحنا الحردان ، الأخبار الشهيّة عن العائلات المرجعيونيّة التيميّة، مطابع الزمان بيروت، لا تاريخ، ص: ٨١٧

٧ - الأب بطرس ضو، تاريخ الموارنة، ج٦، ص ٣١١

٨ - اوسابيوس القيصري، التاريخ الكنسي، ترجمة اسكندر شديد، مج ١ ، دار حرمون، ٢٠٠٤، ص: ٤٧

٩ - 1.F.M.Abel, Geographi de la Palestine, t ,Paris ,1976 ,9-347.pp

١٠ - Antoin Morison,Relation Historienne,Livre 3, ch. 1

١١ - التكوين، ٧: ١٨

الأباتي بولس نعمان الحضور الكبير

البروفوسور الأب يوسف مونس

أيقونة رهبانية وقامة كنسية ووطنية فريدة، غابت في الحضور، وتبقى حاضرة في ضمير الكنيسة وفي ذاكرة الوطن.

مع رحيل الأباتي بولس نعمان، نودّع راهبًا عالمًا، وباحثًا عميقًا، جعل من قضية الوطن نذره الرابع، ومن المارونية دعوة الى القداسة والشهادة، في كل مكان وزمان.

خدم الرهبانية والكنيسة والوطن والإنسان، فكان وجدان لبنان، وحامي الكيان، شاهدًا للحقيقة والحق، مدافعًا عن كرامة الإنسان، والأرض والحرية، وقد واكب احداث لبنان فسخّر طاقاته في سبيل المصالحات، وتضميد الجروحات؛ وكم تعرض لمضايقات، وكم أصابته الجراح والاتهامات، وقد انتصر عليها، وبقي صامدا في مواقفه، بدون تخاذل او انسحاب، مرددًا مع مار بولس: «أنا قوي بالذي يقوّيني».

كان الأباتي مرشدًا وموجّهًا للشيخ بشير الجميل، رافقه وواكبه في مسيرته نحو رئاسة الجمهورية، وكان داعمًا للجبهة اللبنانية، مشاركًا في اجتماعاتها، التي كانت تعقد في دير عوكر، وفي دير مار أنطونيوس الكبير - السوديكو في الاشرفية –حيث إقامتي اليوم- كما كان صديقًا للمرحوم الرئيس إلياس سركيس، ابن بلدتي الشبانية، الذي كان يحترمه، ولطالما تبادلا من خلالي الرسائل والمواقف الوطنية.

كان الأباتي عالمًا في التاريخ واللاهوت، وكان أكاديميًّا، وباحثًا، ومحاضرًا، ترك إرثًا تاريخيًا ولاهوتيًا كبيرًا.

حمل القضية اللبنانية والمارونية والوطنية، كتب عن الموارنة ومن اجلهم ما لم يكتب عنهم أحد مثله. وأبرز كتبه سؤاله الخطير: «لبنان الموارنة إلى أين»؟

وحين تولى رئاسة الرهبانية اللبنانية المارونية لم يتعامل معها كمنصب بل كخدمة ورسالة، مع سعيه إلى أن تبقى الرهبانية حاضرة في قلب المجتمع، مع الناس ومن اجل قضاياهم، كما في قلب الكنيسة وتعاليمها، وفي قضية الوطن وانتظاراته.

كان صامدًا أمام الرياح العاتية، كبيرًا في مواقفه، جريئًا في قول الحق، كما عرف كيف يبني علاقات مع الجميع من زعماء لبنانيين وفلسطينيين، ومن طوائف وقوى سياسية مختلفة، جامعًا لا مفرّقًا، منفتحًا دون أن يساوم على قناعاته وثوابته.

ربطتنا أخوّة في الرهبنة، وزمالة في الجامعة، ورفقة في القضايا الوطنية، وفي قضايا أخرى تخصّ رهبانيتنا وجامعتنا العزيزة.

اليوم يمضي الأباتي الحبيب ليلاقي أسلافه الكبار الذين ترأسوا الرهبانية وخدموها بأمانة والتزام، ولم يقصّروا في واجبهم الابوي تجاه اخوتهم الرهبان،

وهؤلاء لآبائهم مدينون

ويا اعز الراقدين

ان موعدنا مع القيامة... واما رجاؤنا فأن يرسل الله الى لبنان والكنيسة والرهبانية كبارًا، كأمثالك، فالارض عطشى، والمواسم تعيش الانتظار.

الصليب خشبة الالم وطريق الحياة

البروفسور الخوري جورج فارس

جاء ذِكر الصليب في الكتاب المقدّس، العهد القديم، في مناسبات عدّة. عندما صَلبَ فرعون رئيس الخبَّازين (تك ٤٠: ١٩)، وعندما أمر الربّ موسى بصلب رؤساء بني إسرائيل بسبب زنى الجماعة مع بنات موآب (عد ٢٥: ٤)، وصَلبَ يشوع ملك عاي (يش ٨: ٢٩)، والملوك الخمسة بعد موتهم (يش ١٠: ٢٦)، ووافق داود على صلب سبعة من أبناء شاول (٢صم ٢١: ٦- ٩). وكان الصليب علامة اللعنة. «وإذا كان على إنسان خطيئة حَقُّها الموت، فقُتل وعلَّقتَه على خشبة. فلا تبت جُثَّتُهُ على الخشبة، بل تَدفنُهُ في ذلك اليوم. لأنّ المُعلَّق ملعون من الله. فلا تُنجِّس أرضَكَ التي يُعطيكَ إيّاها الربّ إلهُك أيضًا» (تث ٢١: ٢٢-٢٣).

جاء في كتابات بعض الفلاسفة والمفكّرين وصف لعذابات الصليب. قال خطيب روما شيشرون عن عقوبة الصليب: «العدوّ المخيف الذي يُرعب كلّ الناس الصالحين هو الصلب والتعذيب الذي يُرافقه... هو من أقسى العقوبات، وكان لا يُنفّذ (الصلب) إلّا في أشرّ المجرمين وألدّ الأعداء، لكي تطول مدّة عذابهم. لذلك كان كلّ من يُصلَب من البشر يتمنّى الموت بأقصى سرعة. ومن ثمّ كان يرزح تحت آلامه المبرحة يومًا أو أكثر من يوم، حتى يُقبل إليه الموت وينقذه». قارن سقراط بين الهرب من الصلب، وبين الحكم المستبدّ، فتساءل قائلًا: «إذا قُبض على رجل بجريمة التآمر على الحرّيّة ومحاولة تنصيب نفسه حاكمًا وطاغية فهو عرضة للتعذيب بقطع جسده، وحرق عينيه، وتعذيب زوجته معه، ثمّ أولاده بعذابات متنوّعة، ثم بعد ذلك، يُصلب، أو يُحرق». وناقش تلميذه أفلاطون الفكرة نفسها في كتابه الجمهوريّة. ووصف المؤلّف اليونانيّ مانيتو في كتابه تفسير الطالع والحظّ، وصف عقوبة الصلب قائلًا: «هي عقوبة تؤدّي إلى شدّ أعضاء الجسم والخشبة، تدّق في أجسادهم المسامير، حتّى تجيء النهاية المرّة، طعام رديء للطيور آكلة اللحوم والنسور، والكلاب المتوحّشة الجائعة».

أمّا في العهد الجديد، فيستوقفنا تشديد بولس الرسول في رسائله على أنّ الصليب هو معجزة العالم وحكمة الله. «إذا كان اليهود يطلبون المعجزات واليونانيّون يبحثون عن الحكمة، فنحن ننادي بالمسيح مصلوبًا وهذا عقبة لليهود وحماقة في نظر الوثنيّين» (١ كور ٢٢:١-٢٣). «أمّا أنا فلم أرد أن أعرف شيئًا، وأنا بينكم، غير يسوع المسيح، بل يسوع المسيح مصلوبًا» (١ كو ٢:٢). «أذكّركم يا إخوتي بالبشارة التي حملتها إليكم وقبلتموها ولا تزالون ثابتين عليها وبها تخلصون... فسلّمت إليكم قبل كلّ شيء ما تلقّيته وهو أنّ المسيح مات من أجل خطايانا، وأنّه دُفن وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب» (١ كو ١٥:١).

وانطلاقًا من هذه التعاليم، يقودنا التأمّل بالصليب في أبعاده الثلاثة:

• فهو سرّ الحب والمجد: «أما كان يجب على المسيح أن يتألّم ليدخل مجده» (لو ٢٤:٢٦) فمعه وفيه وبه يصبح صليبنا طريقًا لمجدنا، ويصبح ذروة العطاء الحب.

• وهو سرّ الحب والألم، إنّه انعطاف الألوهة العميق نحو الإنسان. إنّه مسحة محبة أبدية على أشدّ الجراح إيلامًا.

• وهو سر الحب والحياة، «فما من حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه فداء عن أحبّائه» (يو ١٣:١).

وفي هذا السياق يقول إيف دي مونتاي: «ليس الألم حدثًا عابرًا مزعجًا يزيدنا ضنكًا، إنّه طريق الحبّ. يجب أن يحترق فينا ما يجب إحراقه لكي تملك حياة الله فينا».

إنّها ثورة الصليب، ثورة الحب على الحقد والكراهية، ثورة الغفران والمسامحة على الثّأر، والحرية على العبودية، والفرح والرجاء على اليأس والألم، وثورة الحياة على الموت.

مناسبة

المسكونية حول صليب المحبة

في عيد الصليب، حين تلتقي الكنيسة أمام سرٍّ يتجاوز حدود الطوائف والانقسامات، اختار تلفزيون نورسات أن يجعل من الصلاة مساحةً جامعة لكل إنسان يحمل وجعًا، ولكل قلب أنهكته الحروب والالام، فجاء اللقاء المسكوني، من إعداد وتقديم ماري تريز الباشا حنين، في كنيسة مار مارون - البوشرية، بمشاركة كهنة من الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية، ليقول إن الصلاة، حين تخرج من عمق الألم، لا تعرف جدرانًا ولا حدودًا.

شارك من الكنيسة المارونية الأب مروان معوّض والأب جيلبير اسطفان، من كنيسة الروم الأرثوذكس الأب إبراهيم سعد، الأخ البير جندي ممثل الأب أثاناثيوس رزق رئيس طائفة الأقباط في سوريا ولبنان، الأب جان داوود من كنيسة الروم الكاثوليك، الأب رفايل جوهرجي من كنيسة الأرمن الكاثوليك، الأب سركيس أبراهميان من كنيسة الأرمن الأرثوذكس، الأب طوني شكري من الكنيسة اللاتينية، الأب نبيل الدانو من الكنيسة الكلدانيّة، الأب فادي إسكندر من كنيسة السريان الأرثوذكس، القس جوزيف زعرب من الكنيسة الإنجيليّة، الأب أنطونيوس إبراهيم من كنيسة الأقباط الكاثوليك، الأب يوسف درغام من كنيسة السريان الكاثوليك، الأب نينوس عوده من الكنيسة الأشوريّة، السيّد جاك كلاسي رئيس مجلس إدارة نورسات وتيلي لوميار.

لم يكن اللقاء مجرد مناسبة دينية لمناسبة عيد الصليب، بل كان وقوفًا روحيًا أمام جرح الإنسان المعاصر. فالوجع ليس له طائفة ولا دين، والدمعة لا تسأل الإنسان لأي كنيسة ينتمي. وحين يتألم الإنسان، تسقط أمام ألامه كل التسميات، ويبقى وجه الإنسان وحده، محتاجًا إلى حضن الله وإلى أخيه الإنسان.

ومن هنا كانت الدعوة الى الولوج معًا الى قلب الرَّب، ليس هروبًا من الألم، ولا محاولة لتجميله بكلمات دينية جاهزة، بل لكي نكتشف أن الله لا يقف بعيدًا عن جراح الإنسان. إنه الإله الذي يدخل إلى عمق الوجع، ويحمل الإنسان فيه، ويحوّل حضوره من عزلة إلى شركة، ومن خوف إلى رجاء.

والصليب، في هذا اللقاء، لم يكن شعارًا طائفيًا، بل مساحة لقاء. إنه الخشبة التي تتلاقى عندها الكنائس، لا لكي تلغي اختلافاتها، بل لكي تكتشف أن وراء كل اختلاف جوهرًا إنجيليًا واحدًا: المحبة التي تبذل ذاتها من أجل الآخر.

وكان من أبرز الأفكار اللاهوتية التي طُرحت إعادة النظر في فهم الصليب. فالله، في جوهر الإنجيل، ليس إلهًا يحتاج إلى سفك الدم كي يرضى أو يغفر. الله لا يحتاج إلى موت ابنه لكي يحب الإنسان، لأن المحبة هي أصل الخلاص ومصدره.

من هنا، لا يأتي الخلاص من الخشبة كخشبة، ولا من الألم كألم، بل من المحبة التي ظهرت على الصليب.

فالصليب لا يشرح الألم ولا يلغيه. لا يقدم إجابة سهلة عن سؤال: لماذا يتألم الإنسان؟ لكنه يقول شيئًا أعمق: الله لا يترك الإنسان وحيدًا في ألمه. في الصليب، لا يهرب الله من جرح البشرية، بل يدخل إليه. ولذلك يصبح الصليب، في عمقه المسيحي، حضورًا إلهيًا في قلب الوجع، ورجاءً يولد من المكان الذي يبدو فيه كل شيء منتهيًا.

وهكذا تحولت الصلاة المسكونية إلى صلاة من أجل كل متألم، من دون سؤال عن اسمه أو طائفته أو دينه؛ لأن الإنسان قبل كل شيء هو إنسان، ودمعته مقدّسة، ووجعه يستحق أن يُسمع.

في عيد الصليب، ربما تكون الرسالة الأجمل أن نلتقي لا حول خشبة الموت، بل حول محبة المسيح التي جعلت من الخشبة طريقًا إلى الحياة. وأن نكتشف أن وحدتنا الحقيقية لا تبدأ حين نتشابه، بل حين نمد أيدينا معًا نحو الإنسان المتألم.

فحين يجمعنا الألم، لا يعود السؤال: من أي كنيسة أنت؟

بل يصبح السؤال الوحيد: كيف نستطيع، معًا، أن نكون حضور محبة في قلب هذا الوجع؟ فالرب لا يقدّس الألم إنما يقدّس المتألم

م. ب. ح.

الدستور الرياضي

حين كانت القرية ملعبًا... رياضات لبنانية على طريق الاندثار

لم تكن الرياضة في القرى اللبنانية تحتاج إلى ملاعب معشّبة، أو صالات رياضية، أو تجهيزات متطورة. كانت الساحات العامة، والباحات الترابية، وحقول القرى ومساحاتها المفتوحة، تكفي لتحويل يوم عادي إلى منافسة رياضية يتابعها الصغار والكبار.

قبل انتشار الأندية والاتحادات الرياضية بالشكل الذي نعرفه اليوم، كانت الألعاب الشعبية جزءًا من الحياة اليومية في عدد كبير من القرى. ألعاب تعتمد على القوة والسرعة والمهارة والتوازن، وتتناقلها الأجيال شفهيًا، وتتحول في الأعياد والمناسبات إلى مسابقات يتنافس فيها أبناء البلدة.

من المصارعة ورفع الأثقال، إلى سباقات الجري والقفز والألعاب الشعبية المختلفة، كانت المنافسة تبدأ من دون صافرة حكم وتنتهي غالبًا وسط تصفيق الأهالي. لم تكن هناك عقود احتراف أو جوائز كبيرة، لكن كان هناك شيء آخر: السمعة، التحدي، وإثبات القدرة أمام أبناء القرية.

وكانت المناسبات الاجتماعية، ولا سيما الأعياد والمهرجانات والأعراس، مساحة أساسية لإحياء هذه الألعاب. يجتمع الناس، ويتحول المكان إلى ما يشبه المدرج المفتوح، فيما يتنافس الشباب وسط أجواء من الحماس والتشجيع.

ومع تطور الرياضة اللبنانية وانتشار كرة القدم وكرة السلة وألعاب القوى والرياضات الفردية، تراجعت تدريجيًا مساحة الألعاب الشعبية. كما ساهمت الهجرة، وتبدّل نمط الحياة، وانتقال الشباب إلى المدن، وانتشار التكنولوجيا ووسائل الترفيه الحديثة، في ابتعاد الأجيال الجديدة عن كثير من هذه الممارسات.

المشكلة ليست في تطور الرياضة، بل في أن بعض الألعاب القديمة تختفي من دون أن تُوثَّق.

وهنا تبرز مسؤولية البلديات والنوادي والجمعيات والمدارس والمهتمين بالتراث الرياضي، من خلال جمع الروايات والصور، وتوثيق أسماء الألعاب وقواعدها، وإعادة تقديمها ضمن المهرجانات والأنشطة القروية والمدرسية.

فالألعاب التقليدية ليست منافسًا للرياضة الحديثة، بل جزء من تاريخها المحلي.

وقد تكون الساحة التي كان فيها أبناء القرية يتنافسون قبل عشرات السنين، أبسط بكثير من أي ملعب حديث، لكنها كانت تحمل قيمة لا تُقاس بالتجهيزات: كانت تجمع الناس حول الرياضة، وتمنح الأطفال مساحة للحركة، وتحفظ في الوقت نفسه جزءًا من هوية المكان.

اليوم، أمام قرية تتغير بسرعة، يبقى السؤال: كم لعبة شعبية ما زالت حاضرة؟ وكم لعبة اختفت مع آخر جيل كان يعرف كيف يلعبها؟

فإذا كانت الرياضة ذاكرة أيضًا، فإن إنقاذ ألعاب القرى من النسيان هو إنقاذ لصفحة من صفحات الرياضة اللبنانية نفسها.

طوني نجم

«الأسبوع الرياضي» ينطلق بشعلة وطنية: الرياضة صورة وطن

أعلنت وزيرة الشباب والرياضة الدكتورة نورا بايراقدريان، انطلاقة الاسبوع الرياضي في النصف الثاني من الشهر الجاري.

وأكدت بايراقدريان أن «الرياضة في لبنان ليست مجرد بطولات، بل هي صورة وطن»، مشيرة إلى أن الأسبوع يهدف إلى جمع الشباب والمناطق والجامعات وتعزيز حضور لبنان الرياضي، ويتضمن مباريات بين الوزارات، وأنشطة في البلدات والقرى وندوات جامعية ومباريات تجمع السفراء والنواب.

من جهته، أكد وزير الداخلية احمد الحجار دعمه للمبادرة ووضع إمكانات الوزارة بتصرف القطاع الرياضي، فيما شدد النائب سيمون أبي رميا، رئيس لجنة الشباب والرياضة، على ضرورة إعطاء الرياضة والشباب أولوية أكبر، مثنياً على المبادرة وجهود الوزارة.

وتوّج إطلاق الأسبوع بانطلاق شعلات رياضية من مختلف المناطق اللبنانية، شمالاً وجنوباً وبقاعاً وجبل لبنان وبيروت، لتلتقي في شعلة وطنية واحدة أمام وزارة الشباب والرياضة، في رسالة تؤكد وحدة لبنان ودور الرياضة في تعزيز التلاقي والعمل الجماعي.

ط.ن.

من زلزال ١٧٥٩ إلى حرب ١٨٦٠ وجرس ١٩١٤...

سيدة الزلزلة: حكاية زحلة التي احتمت بالعذراء

في قلب مدينة زحلة، تقف كنيسة سيدة الزلزلة كواحدة من أبرز معالم المدينة الدينية والتاريخية، وكمكان ارتبط في ذاكرة أهلها بحكايات الإيمان والحماية والعجائب.

هي، كما يقول الأب جورج معلوف، أمّ زحلة وأمّ كنائسها، وأقدم كنائس المدينة، وكنيسة ارتبط اسمها عبر التاريخ بروايات شعبية وإيمانية عن عجائب العذراء وحمايتها لأهل زحلة في أصعب المحطات.

الكنيسة شُيّدت أساسًا عام ١٥٥٠، ثم جرى تجديدها عام ١٧٤٠، قبل أن يرتبط اسمها بأولى أبرز عجائبها المتوارثة عام ١٧٥٩، عندما ضرب زلزال كبير المنطقة.

وبحسب الرواية المتناقلة، فقد كان زلزال عام ١٧٥٩ كارثيًا على مناطق واسعة من لبنان، ويُروى أن بيروت تعرضت لأضرار كبيرة، وأن البحر اجتاح مناطق ساحلية، فيما وصلت آثار الزلزال إلى مناطق مختلفة، وتضررت بعلبك وقرى عديدة.

أما زحلة، فتقول الرواية المتوارثة إن التشققات الأرضية اتجهت نحو الكنيسة، فيما انزلقت التربة خلفها ووصل زحف التراب إلى حائطها الغربي، قبل أن تتوقف التشققات عند حدود الكنيسة، وبقيت بيوت زحلة في أمان.

وعندما وصلت أخبار الكارثة إلى أهل المدينة، خرج الزحالنة إلى سيدة الزلزلة، وصلوا وشكروا العذراء، ومن هنا ارتبط اسم الكنيسة، في الذاكرة الزحلاوية، بتلك الحادثة، وأصبحت تعرف باسم سيدة الزلزلة العجائبية.

ويختصر الأب معلوف هذه المرحلة بالقول إن أولى عجائب العذراء، كانت حماية المدينة من الزلزال والحفاظ على أبنائها.

١٨٦٠... عندما وصلت الحرب إلى زحلة

لكن تاريخ سيدة الزلزلة لا يرتبط بالزلازل فقط.

عام ١٨٦٠، دخل لبنان مرحلة من أكثر المراحل اضطرابًا ودموية في تاريخه، مع اندلاع الصدامات الطائفية التي شهدتها مناطق مختلفة. وقد شهدت تلك المرحلة اضطرابات واصطفافات، في سياق ما يسمى بالتعبئة المدعومة من الحكم العثماني، بهدف مهاجمة زحلة وتهجير مسيحييها.

وفي ذلك الوقت، وجد أهل زحلة أنفسهم أمام خطر عسكري.

ومن هنا، توجه الزحالنة إلى يوسف بك كرم، الذي كان موجودًا في بسكنتا، في خضم صراعه مع بيت الخازن على النفوذ والسلطة في جبل لبنان.

مع الاشارة إلى أن يوسف بك كرم كان مدعومًا من الفرنسيين، فيما كان بيت الخازن مدعومين من العثمانيين، في مشهد يعكس تعقيدات التدخلات الخارجية في الصراعات الداخلية اللبنانية.

ارتدى المهاجمون لباس رجال يوسف بك كرم، وتقدموا باتجاه زحلة من جهة الضهور، مستخدمين الأعلام والطبول، الأمر الذي جعل الزحالنة يظنون أن النجدة وصلت.

خرج بعض الشباب لاستقبال ما اعتقدوه جيش يوسف بك كرم، لكنهم وجدوا أنفسهم أمام قوة مهاجمة، فبدأ الهجوم على المدينة من أكثر من محور.

٥٠٠ شاب في مواجهة ١٥ ألفًا

كان عدد المدافعين عن زحلة نحو ٥٠٠ شاب، في مقابل قوة مهاجمة قوامها نحو ١٥ ألفًا.

وبدأت المعركة. هربت النساء والأطفال وكبار السن إلى كنيسة سيدة الزلزلة، فيما توجه الرجال إلى المتاريس للدفاع عن المدينة.

وتروي الذاكرة الزحلاوية أن المهاجمين أحرقوا عددًا من الكنائس والبيوت، ووصلت إحدى الفرق المهاجمة إلى محيط سيدة الزلزلة.

وهنا تبدأ واحدة من أكثر الروايات ارتباطًا باسم الكنيسة.

إن العذراء ظهرت، وأحاطت الكنيسة بما يشبه سورًا من الغبار، منع المهاجمين من الاقتراب منها.

وأن بعض المهاجمين تجرأوا على اختراق هذا الحاجز، فسقطوا في الأرض وماتوا.

وعندما انتشر بين أهل المدينة خبر الاعجوبة، فإن معنويات الشباب ارتفعت بشكل كبير، وتحول الإيمان إلى قوة تدفعهم إلى الاستبسال في الدفاع عن المدينة.

ويستعيد في هذا السياق العبارة الكتابية:

«فاعلموا أيها الأمم وانهزموا، لأن الله معنا».

استمرت المعركة أيامًا.

ومع حلول الليل، كان المدافعون يعيدون تنظيم صفوفهم، فيما كانت النساء والأطفال وكبار السن، يشاركون في إعداد السلاح ودكّ البوارید وتجهيز المتاريس.

في اليوم التالي عاد الهجوم، فردّه الزحالنة. وفي اليوم الثالث تكرر الهجوم وردّه المدافعون. وفي اليوم الرابع وصل الجيش الفرنسي.

لكن الأب جورج يؤكد أن صمود زحلة سبق وصوله، معتبرًا أن الفرنسيين لم يأتوا بدافع محبة المسيحيين، بل بعدما أثبت الزحالنة قدرتهم على الصمود وفرضوا واقعًا جديدًا.

زحلة والاستقلال... قبل ١٩٤٣؟

إنّ تجربة زحلة شكّلت، أرضية مبكرة لفكرة الاستقلال اللبناني.

والمدينة شهدت قيام مجلس من سبعة أعضاء تولى إدارتها من عام ١٨٦٠ حتى عام ١٩١٤، كما ظهرت فيها الصحافة السياسية من خلال جريدة «زحلة الفتاة»، التي كانت تهاجم الحكم العثماني وتدعو إلى التحرر.

كانت الجريدة توزع في مناطق مختلفة من لبنان، وتحرض اللبنانيين على الاقتداء بأهل زحلة والمطالبة بالاستقلال.

ومن هنا، يعتبر أن استقلال لبنان لم يبدأ فقط مع إعلان الاستقلال عام ١٩٤٣، بل كانت له جذور وأرضية سياسية وفكرية سبقت ذلك بعقود، وكانت زحلة، وفق قراءته، إحدى أبرز المحطات في هذا المسار.

١٩١٤... عندما أرادوا إسكات أجراس زحلة

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، وسقطت التفاهمات السابقة، ودخل العثمانيون والفرنسيون في محورين متحاربين.

أراد العثمانيون الانتقام من زحلة ومن البيئة المسيحية فيها، فدخلوا المدينة وبدأوا بملاحقة الصحافيين، وملاحقة أعضاء مجلس المدينة، كما توجهوا إلى الكنائس لإنزال أجراسها.

ويقول إن أجراس الكنائس أزيلت من زحلة، باستثناء جرس سيدة الزلزلة.

وأن الجنود العثمانيين وصلوا إلى الكنيسة وصعدوا نحو القبة لإنزال الجرس.

وهنا تدخلت، إحدى نساء الحي، وواجهت القائد العثماني وسألته كيف يمكنه إنزال جرس العذراء.

وعندما سألها عن العذراء التي تتحدث عنها، أخذته إلى الأيقونة العجائبية الموجودة داخل الكنيسة.

حمل القائد فأسه واتجه نحو الأيقونة، لكنه ما إن وطئت قدماه أرض الكنيسة حتى سقط على الأرض وأصبح عاجزًا عن الحركة.

هرب رفاقه، وانتشرت بينهم، بحسب الرواية، فكرة أن الكنيسة «مسكونة».

ويقول الأب معلوف إن الناس تأتي إلى سيدة الزلزلة وهي تحمل همومها ومشاكلها، لكنها تدخل الكنيسة بثقة بأن النعمة قادرة على منحها التعزية والقوة.

مدينة اهتزت أرضها، وحوصرت في حروبها، وفقدت كثيرًا من أبنائها، لكنها أبقت باب الكنيسة مفتوحًا.

من زلزال ١٧٥٩، إلى أحداث ١٨٦٠، إلى جرس ١٩١٤، وصولًا إلى صلاة المؤمنين اليوم...

تبقى سيدة الزلزلة في ذاكرة أهل زحلة عنوانًا للإيمان والرجاء، وكنيسةً تتناقل الأجيال حكاياتها، ويأتي إليها الناس لا بحثًا عن مجد دنيوي، بل عن شيء أبسط وأعمق:

رحمة الله... وتعزية العذراء... ورجاء لا تهزّه الزلازل.

ناصيف إيليا أبو مراد

الدستور
صاحبة الامتياز
تيلي لوميار (ش.م.ل)

الناشر
جاك الكلاسي
رئيس مجموعة تيلي لوميار- نور سات

رئيس التحرير
د. انطوان سعد
أمين عام المجموعة

المديرة المسؤولة
جان دارك ابي ياغي

الموقع الالكتروني
ماري تريز باشا حنين

مبنى تيلي لوميار، سنتر الدورة التجاري،
الطابق التاسع، بيروت - لبنان
هاتف: 01/255123 - 01/255125
info@addoustour.net - www.addoustour.net